إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات **أكتوبر ٢٠٢٣ م**

إنسان القلب الداخلي

قال شيخ يوماً: "لقد شكَّل الله كل قلب بطريقة خاصة، وكل قلب هو هدفه، وهو المكان الذي يرغب في الإقامة فيه لكي يظهر ذاته."

بما أن ملكوت الله داخلنا (انظر لوقا ١٧ : ٢١) فإن القلب هو ساحة معركة خلاصنا، وكل جهد نسكي يهدف إلى تطهيره من كل دنس، والحفاظ عليه نقياً أمام الرب. " فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ"، هكذا يحث سليمان، الملك الحكيم ملك إسرائيل الحكيم (أمثال ٤ : ٢٣). تمر مسارات الحياة تلك من خلال قلب الإنسان، ولذا فإن الرغبة التي لا تنطفئ لدى جميع الذين يسعون باستمرار لرؤية وجه الله الحي هي أن يُعاد إشعال قلبهم، الذي تم اخماده بالخطية، بنعمته. القلب هو الهيكل الحقيقي للقاء الإنسان بالرب. قلب الإنسان "يبحث عن المعرفة" (أمثال ١٥ : ١٤) أي المعرفة الفكرية والإلهية، ولا يعرف الراحة حتى يأتي رب المجد ويقيم فيه. من جهته، الله، الذي هو "إله غيور" (خروج ٣٤ : ١٤)، لن يقبل بجزء بسيط من القلب. في العهد القديم، نسمع صوته يصرخ: " يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ" (أمثال ٢٣ : ٢٦) ؛ وفي العهد الجديد يأمر: " تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ" (متى ٢٢ : ٣٧).

هو الذي شكَّل قلب انسان بطريقة فريدة ولا تتكرر، ومع ذلك، لا يمكن لأي قلب أن يحتويه بالكامل لأن "الله أعظم من قلوبنا" (يوحنا الأولى ٣ : ٢٠). ومع ذلك، عندما ينجح الإنسان في توجيه قلبه بالكامل نحو الله، فإن الله نفسه يولده الله بالفعل من خلال بذرته الفاسدة ويختمه باسمه العجيب، ويجعله يتألق بحضوره الدائم والكاريزمي. يجعله هيكلاً للاهوته، هيكلاً لم يصنعه اليد، قادراً على عكس شكله والاستماع لصوته و"حمل" اسمه (١يوحنا ٥ : ٣٧؛ أعمال ٩. باختصار، يحقق الإنسان غاية حياته، سبب مجيئه إلى الوجود في هذا العالم الزائل..

المأساة العظمى لعصرنا تكمن في حقيقة أننا نعيش، ونتحدث، ونفكر، وحتى نصلي لله، خارج قلوبنا، خارج بيت الآب. وبالفعل، بيت الآب هو قلبنا، المكان الذي يجد فيه "روح المجد والله" (بطرس الأولى ٤ : ١٤) راحته، لكي يتصور المسيح فينا (غلاطية ٤ : ١٩). في الواقع، عندئذٍ فقط يمكن أن نصبح كاملين، تضحية لا توصف. ولكن ما دمنا أسرى أهوائنا التي تصرف أذهاننا عن قلوبنا وتجذبها إلى العالم المتغير والعبثي للأشياء الطبيعية والمخلوقة، مما يحرمنا من كل قوة روحية.

إن رحلة العودة من هذه الأرض النائية وغير المضيافة ليست سهلة، ولا يوجد جوع أكثر رعباً من جوع قلب تخربه الخطيئة. الذين يمتلئ قلبهم بالتعزية الفاسدة يمكنهم تحمل جميع الحرمانات والمعاناة الخارجية، وتحويلها إلى عيد فرح الروحي؛ لكن الجوع في القلب القاسي المحروم من التعزية الإلهية هو عذاب بلا عزاء. لا يوجد مصيبة أكبر من قلب بارد ومتحجر لا يستطيع التفريق بين الطريق المضيء لعناية الله والارتباك المظلم لطرق هذا العالم.

من ناحية أخرى، عبر التاريخ، كان هناك رجالاً امتلأت قلوبهم بالنعمة. هذه الأواني المختارة استنارت بروح النبوة، وبالتالي كانوا قادرين على التفريق بين النور الإلهي وظلام هذا العالم. مهما كانت المعركة في تطهير القلب صعبة وشاقة، لا شيء ينبغي أن يثنينا عن هذا السعي. لدينا من جانبنا صلاح الله الذي لا يمكن وصفه، الذي جعل قلب الإنسان اهتمامه الشخصي وهدفه. في سفر أيوب، نقرأ الكلمات المدهشة التالية: مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَعْتَبِرَهُ، وَحَتَّى تَضَعَ عَلَيْهِ قَلْبَكَ؟ وَتَتَعَهَّدَهُ كُلَّ صَبَاحٍ، وَكُلَّ لَحْظَةٍ تَمْتَحِنُهُ؟ لِمَاذَا جَعَلْتَنِي عَاثُورًا لِنَفْسِكَ حَتَّى أَكُونَ عَلَى نَفْسِي حِمْلاً؟ (أيوب ٧ : ١٧ - ١٨ ، ٢٠).

نحن نشعر أن الله الذي لا يمكن إدراكه يسعى إلي قلب الإنسان: الذي لا يمكن فهمه، يتعقب قلب الإنسان: "هنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤيا ٣ : ٢٠). يقرع على باب قلوبنا، لكنه يشجعنا أيضاً أن نقرع على باب رحمته: "اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ" (لوقا ١١ : ٩ - ١٠).

يقول الرب: "ملكوت الله داخلك". فتب إلى الله بكل قلبك. تخل عن هذا العالم البائس وستجد نفسك الراحة. تعلم أن تحتقر الأمور الخارجية، وأن تكرس نفسك للأمور الداخلية، وسترى ملكوت الله يأتي إليك، هذا الملكوت الذي هو السلام والفرح في الروح القدس، هدايا لا تُعطى للأشرار. سيأتي المسيح إليك مُقدماً تعزيته، إذا أعددت مسكناً مناسباً له في قلبك، جماله ومجده، اللذين يبتهج بهما، كليهما من الداخل. زياراته للإنسان الداخلي متكررة، ومعاشرته حلوة ومليئة بالتعزية، وسلامه عظيم، ورقته رائعة حقاً. لذا، أيتها النفس الأمينة هيئي قلبك لهذا العريس فهو يأتي ويسكن فيكِ؛ هو نفسه يق إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً" (يو ١٤ : ٢٣). أعطِ مكاناً للمسيح، لأنك عندما تملك المسيح ستكون غنياً وهو يكفيك لك.